انعكس أثرُها على تقويم هذا الإبداع ، وقياسه بمدى تجاوبه مع هذه الحياة أو ابتعاده عنها ، وفي ظل التحرُّك الأدبي ظهرت تيارات مضادة حاولت التمسك بأهداب الدين ، والمحافظة على قيمه ، والحكم على النتاج الأدبي حكمًا دينيا وأخلاقيا ، بحيث يكون الرفضُ أو القبول منوطًا بموافقة هذا النتاج لتعاليم الدين أو مخالفته لها . وبين هذين التيارين برزت حركةٌ نقدية توافقية ، حاولت أن تلائم بين طبيعة الفن واحتياجاته ، وتعاليم الدين وقيمه. وكثيراً ما كان خلفاءُ بني أمية يصطنعون هذا المسلك استجلابًا لرضا جميع الأطراف ، وخاصة في الحجاز مهد الدعوة ومنبتها .

وعلى عكس ما رأينا في الحجاز من اتساع دائرة النقد بين كثير من طوائف المجتمع وطبقاته ، نجد أن حركته في الشام قد انحسرت داخل مجالس السلطة عند الخليفة أو عند عمّاله ، فأخذ صورة رسمية باعتباره مظهراً من مظاهر الحكم ، مكملا لأبهته . وهذه الرسمية وجهت الأدب إلى خدمة متلقيه ، وهو – في الغالب – خليفة أو وال ، وبالتالي أصبح النقد مركزا على ملاءمة الكلام لمن يوجَّه إليه ، حتى ولو تناقض في ذلك مع طبيعة مبدعه وخالقه . وبهذا تهيأت للصنعة والجودة الحرفية أن تظلل جوانبَ الإبداع من ناحية ، والتقويم الجمالي من ناحية أخرى .

كما تمحورت عملية التقويم حول الجزئيات أكثر من الكليات ، وأصبح مجال التفرُّد والتفوُّق منوطًا بالبيت المفرد ، بل بالشطر الواحد أحيانًا ، وربما بالجملة الواحدة .